معرفة النّفس وعلاجها عند الصُّوفيّة، الحارث بن أسد المحاسبي نموذجا.

أ.د. البشير قلاتي

جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة- الجزائر

ملخص:

بقدر ما حقّقه الانسان في هذا العصر من تقدم في معرفة عالم المادة،بقدر تخلّفه في معرفة عالم النّفس ، ما أوقعه في مآزق كبيرة، حاولت الدراسات النفسية ،من خلال مدارس التحليل النفسي ،التخفيف من معاناة الانسان دون أن تحقق نتائج حاسمة، ما يشكل تحديا كبيرا للباحث النّفسي المعاصر.

لا شك أن البحث في التراث الاسلامي، خاصة في مجال التصوف السني، يكشف لنا عن مادة ثريّة تفيد الدارس المعاصر في موضوع معرفة النفس وتحليل مشكلتها ، ولعل من أوائل من اهتم بمعرفة النّفس، من خلال رؤية نفسية عميقة علماء التصوّف ،وفي مقدمتهم العالم الصوفي السني،أستاذ الجُنيد (الحارث بن أسد المحاسبي : 165-243ه)، الذي اعترف له بعض العلماء الغربيين، بريادته لعلم التحليل النّفسي.... تحاول هذه الدراسة التعريف بهذا العالم الصوفي الكبير ..؟؟ واكتشاف تحليله لحقيقة النفس ، حقيقة أدوائها وطرق علاجها ......

الكلمات المفتاحية: معرفة النفس، الصوفية، الحارث بن أسد المحاسبي، أمراض النفس.

Abstact **:**

To the extent that man has achieved progress in knowledge of the science of the material as much as the failure to know the psychologist, what caused him in a major impasse, psychological studies tried through the schools of psychoanalysis to alleviate the suffering of people without achieving critical results, which poses a great challenge to the researcher Psychological contemporary.

There is no doubt that research in the Islamic heritage, especially in the field of Sunni Sufism, reveals to us a rich material benefiting the contemporary student in the subject of self-knowledge and analysis of its problem. Perhaps one of the most important concerns of self-knowledge through a deep psychological vision Sufi scholars, Al-Junaid (Al-Harith bin Asad al-Mouhasibi 165-243 *Hijri), which some Western scholars admitted to his leadership of psychoanalysis ... This study attempts to define this great Sufi world? And the discovery of his analysis of the truth of the soul, the truth of its tools and methods of treatment ...*

key words**: **Self-knowledge** ; **Sufism**; **Al-Harith bin Asad al-Mouhasibi** ; **Psychiatry

مقدمة:

في خضم تطور الحضارة المعاصرة والتوسّع التمدُني المعرفي غير المسبوق،من كشوفات علمية وتطور حضاري ،لا يمكن إغفال معاناة الإنسان ، باعتباره العنصر الفاعل في معادلة الحضارة ،وهي معاناة لا تقتصر على الظلم والقهر والتفاوت المادي في المقومات الاقتصادية والمالية بقدر معاناة تتعلق بمشاعر القلق والخوف والحيرة التي يعانيها الانسان؛ سواء في عالم الشمال حيث مراكز القوة والتفوق أو في عالم الجنوب الذي مازال يعاني أزمات تخلفه ...ولا شك أن جهود الباحثين في أزمة الحضارة المعاصرة تصب أصلا في دراسة أزمة إنسان هذه الحضارة ،وعليه فإن التفكّر في ذات الانسان أول شروط تجاوز أزماته، وإليه يشير إليه قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ... ﴾(فصلت/53).....

معرفة النّفس في الفكر الانساني:

لا ريب أن ماهية الانسان وسرّ وجوده وغائيته ،مما تناولته الفلسفات قديما وحديثا واختلفت في تفسيره مدارسها المختلفة بين مادية ،مثالية، ولا أدرية، وكان للأديان رأيها الميتافيزيقي الذي يحسم تساؤلات الوجود حلا لمأزق اللاأدرية وشطحات المادية .

لا تزال قضية الانسان تطرح جدلا واسعا في الفكر الانساني العام، عبر مراحل تطوره المختلفة، حول ماهيته، سبر أغوار نفسه فيما وراء عالمه المرئي الظاهر، أي معرفة حقيقة النفس وأحوالها وطبيعتها ..

ترتبط المعرفة بما يسمى نظرية المعرفة (Epistemology) ؛كأحد فر وع الفلسفة، وتبحث في أصل وبنية مناهج، وموضوعها المعرفة ذاتها وما تتناوله من موضوعات،،،[1].الهدف الأساس الذي جعل العقل البشري يحاول فهم كنه هذه النفس وسبر أغوارها لتتيح هذه المعرفة للإنسان ، خاصة في هذا العصر ،أن يتصدى لمعالجة كثير من ظواهر الانحراف السلوكي وحالات الاكتئاب واليأس والانتحار المعنوي والمادي الذي تشيع بين الكثير من المجتمعات المعاصرة رغم الوفرة والرفاه المادي المتاحة للفرد فيها[2].

وهذا مايبرز أهمية ومكانة علم النّفس المعاصر وأبحاثه التأسيسية لكثير من قرارات الفعل الاقتصادي والسياسي ،المؤثر مباشرة على مصائر الشعوب في العالم ،خاصة ونحن نرى أن السيطرة في هذا المجال المعرفي الهام والخطير يكاد يحصر في مدارس الفكر الغربي ،وفي مقدمتها مدرسة التحليل النفسي مع فرويد(**Sigmund Freud**)[3]، ، والمدرسة السلوكية مع واطسن(**John Broadus Watson**) [4] ..وغيرها من مدارس علم النفس الغربي الحديث..... ما يشكل تأثيرا حضاريا معرفيا على عقول تخصصت في مجالات علم النفس في العالم الاسلامي ،ما جعلها صدى لنتائج أبحاث أولائك الأعلام في الغرب، حتى قال البروفيسور (مالك البدري) (وهو أحد العلماء المتخصصين في علم النفس العيادي) أن علينا الخروج من (جحر الضبّ) الذي دخلناه ؛ ليتسنى لنا بناء نظرية علمية متكاملة في علم النفس، متحررة من وطأة مثل هذه المدارس التي تنبثق رؤاها وأبحاثها من ثقافة غربية مادية ،تنسج خيوطها من خلال إبرة المعادلة الاجتماعية للمجتمع الغربي المتأسس أصلا على أصول الثقافات اليونانية

الرومانية[5].....ومن جهة أخرى نعرف أن الكثير من العلماء والمفكرين في الغرب يحذرون من أزمة إنسان في الدراسات الانسانية ؛ بينما عرفت الحضارة الغربية نموا كبيرا في مجال علوم المادة عرفت بالمقابل اضمحلالا رهيبا في معرفة الانسان والارتقاء به نفسا وخلقيا كما يقول العالم الفرنسي(ألكسيس كاريل) في كتابه المشهور :" الانسان ذلك المجهول".[6]....

رغم الشهرة الواسعة التي تتمتع بها مدارس علم النفس العيادي في الغرب، إلا أن مأزق النفس في عصرنا ، وما يعرض لها من أمراض (أهمها الاكتئاب، القلق...) لا يزال يُطرح بشدة،،،، ما يُملي علينا البحث في مصادرنا المعرفية الاسلامية عن حقيقة النّفس ،طبيعتها وطرق تخليصها والتحكم فيها وتوجيهها بما يكفل لها الطمأنينة والاستقرار .لأن معرفة النفس أساس في إسعادها ، السعادة والطمأنينة النفسية التي يفتقد إليها أصحاب الجاه والصولجان.. .وكيف لنا أن نتعرف على خلفية ،ما يردده الصوفية عن تمتعهم بسعادة نفسية خارقة..... حري بالدارسين المسلمين البحث في التراث الاسلامي عن مادة ثرّة في موضوع معرفة النفس وعلاج أزماتها المختلفة،،،،وهوما يشير إليه أحد المتخصصين في علم النفس في العصر الحديث...[7]...

رغم الاختلاف في الأصل المرجعي الفكري والعقدي للبحوث الدراسية المتقدمة في مجال علم النفس الغربي ودراسات علماء المسلمين للنفس ،فإنّي أتصوّر إمكانية الاستفادة من أبحاث علماء المسلمين وخاصة الصوفية منهم ،في معرفة النفس وكشف أبعادها وعلاج أزماتها ، العلماء الذين أولوا دراسات النفس البشرية عناية كبيرة ،انطلاقا من النصوص المرجعية المقدّسة التي تحث على معرفة النفس ، بناء على قاعدة :(من عرف نفسه عرف ربّه)[8] .

ظهر المتصوّفة، كطائفة من العبّاد والزهّاد ، قوم انشغلوا بالعبادة وترفعوا عن زخرف الحياة الدنيا وزهدوا في بهرجها ،لأنهم أدركوا خواءها وسوء منقلبها ،وانشغلوا بتربية أنفسهم وتزكيتها من باطن الإثم وظاهره. مستندهم في ذلك نصوص دينية كثيرة تحث على التزكية والتطهير الذاتي:﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ الشمس/9- 10)، وتشير إلى حقيقة المتاع الدنيوي: ﴿ ... وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥ ﴾(آل عمران /185)، وسبيلهم التقوى والعمل الصالح الذي ينالون به المعرفة ﴿ ... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾

(البقرة/282)... أما سبب تسميتهم بالصوفية فمقتضى اللغة يرجع إلى لبسهم الصوف كنوع من الزهد وقمع النفس التي تأبى عادة اللبس الخشن أو مقتضى الحال من الصفاء ،لانشغاله بتصفية أنفسهم من الخطايا والأدران.[9]،ويرتبط التصوف بجانب تربية الأخلاق ارتباطا عضويا.

لا نشك أن للمتصوفة المسلمين ،خاصة في عصوره الأولى (القرن الثاني والثالث الهجري)، رؤية معتبرة في الاجابة عن هذا السؤال المحوري ،،،الذي شغلهم ؛باعتبار أن قطب الرحى في الطريق الصوفي، هو أن معرفة النّفس سبيل معرفة خالقها؛ لأن :" من عرف نفسه عرف ربّه"؛ حيث يتفاوت الناس في معرفتهم بربهم على قدر معرفتهم بنفوسهم، [10]......

يرى القشيري[11]، أن النفس "ليس المراد منها الوجود ولا القالب الموضوع (البدن) ،وإنما هي ما كان معلولا من أوصاف العبد ومذموما من أخلاقه، والمعلولات هي : ماكان كسبا له كمعاصيه ومخالفاته، وأخلاقه الدنيئة ،فهي نفسها مذمومة ،فإذا عالجها ونازلها تنتفي عنه بالمجاهدة... ومعالجة الاخلاق في ترك النفس وكسرها هو أتم من مقاساة الجوع والعطش والسهر...أما الروح فهي لطيفة مودعة في القالب (البدن) وهي محل الأخلاق المحمودة..."[12]. .وبعض الصوفية لا يرون فرقا بين (النفس) و(الروح)، حيث أن الروح هي النفس باختلاف المراتب والمراحل ، فمادامت النفس مسجونة [كذا]في حجاب الجسد تسمى نفسا، حتى إذا انعتقت منه سُميت روحا...[13]

استخدم الصوفية المعرفة والعرفان بمعنى اكتساب المعلومات والحقائق عن طريق الكشف والذوق والإلهام،، ويحصل لهم ذلك بالرياضة والارتقاء الإيماني بالتحقق بمعاني التقوى، امتثالا لقوله تعالى:﴿ ... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ (البقرة/282)..، بينما يشير المتكلمون كالقاضي(عبد الجبار المعتزلي) إلى أن المعرفة هي النظر بالقلب بمعنى : التفكير ،البحث،التأمل ، التدبر، الرؤية... فالمعرفة والعلم والدراية نظائر، بمعنى واحد.[14]. ومنهم من قال بخلق الأرواح قبل الأجساد ،من ثم بنوا أساس نظريتهم المعرفية ؛حيث آمنوا بوجود إمكان معرفي فوق طبيعي عند الانسان حال القوة،ولا يتحقق إلا بالتزام تطهير القلب مما سوى الرب؛ فلو استطاع الانسان الترفُّع عن جواذبه النفسية الشهوية البدنية،لتمكّن فعليا من استعادة صلته بالعالم الروحي العلوي فيتحقق بالالهام والكشف -وهو مصدر للمعرفة الحقيقية عندهم-

وعلى هذا الأساس بنوا قواعد التّسليك والتربية على قهر النفس وكبح جماحها، باعتبارها حجاب المعرفة الحقّة. [15]..

لعلّ من أوائل الصوفية الذين كان لهم أثر كبير على من جاء بعدهم (الحارث بن أسد المحاسبي رحمه الله)، الذي يعتبره أحد الباحثين رائدا لعلم النّفس الاسلامي[16].، كما يرى الشيخ عبد الحليم محمود (الذي أعد عنه أطروحته للدكتوراه) أنه أول من أنشأ ونظّم العلاج النفساني للشرّ ، وعالج ذلك عن تجربة متعمّقة،،[17]. يقول (عبد القادر أحمد عطا):" اليوم راح المسلمون يلتمسون علاج أنفسهم الممزّقة من خلال علم النفس الغربي،ونسوا تراث المحاسبي،الذي يشكل مدرسة هائلة للتحليل النفسي الناجح."[18]. **...من هو المحاسبي ؟، ماهي نظرته إلى النفس ، ماحقيقتها ؟..وكيف يمكن علاج أدوائها..؟؟.**

الحارث بن أسد المحاسبي (165هـ/ 243هـ)

هو الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي البصري ،كنيته أبو عبد الله، سمي المحاسبي لأنه كان شديد المحاسبة لنفسه. أحد أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري، يقول عنه (أبو عبد الرحمن السلمي) أنه «أستاذُ أكثرِ البغداديين»، ولد بالبصرة عام 165 هـ. وتوفي ببغداد عام 243هـ. نشأ في أسرة ثرية ،كما تذكر بعض المصادر.اختلف مع أبيه لأنه كان معتزليا ، ولهذا رفض أن يأخذ ميراثه، رغم حاجته وشدة فقره، ورعا.. [19].

- **عصره**: عاش -رحمه الله- في الفترة بين النصف الثاني من القرن الأول للهجرة والنصف الأول من القرن الثالث، شهدت هذه الفترة التاريخية، نهضة ثقافية وعلمية مع توسع الفتح وانتشار الحضارة وانبساط الدنيا على المسلمين ما أدى إلى ظهور الفرق من جبرية ،ومرجئة، واعتزال ،ومن جهة أخرى ظهرت بوادر الانحلال الخلقي والصراعات السياسية ونزعات الشعوبية (عصبية الانتماء القومي)...... وهذا المحاسبي ،نفسه، يعطينا صورة عن تلك الفترة في كتابه الوصايا، فيقول:"إخواني، إني تدبرت أحوالنا في دهرنا فأطلت فيه التفكير ،فرأيت زمانا مستصعنا، قد تبدّلت فيه شرائع الايمان وانتُقضت فيه عرى الاسلام ،وتغيرت فيه معالم الدين، واندرست فسه الحدود،وذهب الحق وباد اهله،وعلا الباطل وكثر أتباعه. ورأيت فتنا متراكمة

يحار فيها اللبيب. ورأيت هوى غالبا وعدوا مستكلبا وأنفسا والهة وعن التفكير محجوبة،قد جلّلها الرياء فعميت عن الآخرة.[20]..........

يظهر أن انحرافات اجتماعية خطيرة حدثت في عصر المحاسبي ،أبان عن فصام بين العقيدة والايمان وبين واقع الناس،حيث فشا فيهم الظلم والفساد الخلقي وتعطلت حدود الله وشاع الكذب على رسول الله(صلى الله عليه وسلم) خدمة لهوى السلاطين ؛حتى قيل:"إن أهل بيت بالكوفة على مائدتهم رغيف حلال،لأهل بيت غرباء !"[21]. ورغم ذلك لابد من الاشارة إلى تأثير المناخ الثقافي والعلمي المزدهر بالبصرة آنذاك مع ماكان للتابعي الجليل العابد الزاهد (الحسن البصري) -رضي الله عنه- من تأثير، وهذا الانفتاح الثقافي فتح المجال لظهور وازهار مدرسة الاعتزال التي نافحت عن دور العقل، ما دفع بالمحاسبي إلى التصدي لأفكارها إلى درجة الصدام مع أقرب الناس إليه (أبوه)، ما يشير إلى قوة شخصية الرجل واستقلاليته الفكرية وتمسكه بما يعتقده حقا....

- **مكانته**: يقول عنه القشيري "عديم النظير في زمانه :علما وورعا ومعاملة وحالا"[22] ، يقول عنه فريد الدين العطار[23]:" كان رحمه الله من مشايخ العلماء، مزيّنا بالعلم الظاهر والباطن ،مقبولا في المعاملات والاشارات ،مرجعا للأولياء في جميع الفنون.....وكان سخيا ذا همة عالية، مروءة في الفراسة والحذاقة، عديم النظير ،وفي وقته شيخ المشايخ في بغداد، مخصوصا بعلم التجريد والتوحيد، وفي المجاهدة والمشاهدة، واصلا إلى أقصى الغاية ، مجتهدا في الطريقة وكان بصريّ الأصل.."[24].. وهو أستاذ أكثر البغداديين،كما يقول عبد الرحمن السلّمي[25] ، إضافة إلى أنه المربي الثاني للجنيد، سيد الطائفة،كما يُلقب..[26]. علما أن معظم أخبار الحارث التي أوردها (أبو نعيم في الحلية) نقلها عنه (الجنيد)،،،كما يشهد بفضله وعلو كعبه الكثير من الأعلام منهم: الذّهبي، ابن الاعرابي، ابن حجر، وابن عماد الحنبلي....[27]

تتلمذ المحاسبي على يد ثلّة من رجال العلم من مدرسة أهل الحديث منهم" هشيم بن بشير ووكيع بن الجراح وأبوالقاسم بن سلام، الحجاج بن حماد بن سلمة ، شريح بن يونس، يزيد بن هارون و الامام الشافعي (150-204هـ) الذي تتلمذ على يديه في رحلته إلى بغداد عام 195هـ.[28]

يرى أحد الباحثين أن المحاسبي اطلع على الفقه قبل أن التصوف، وكان نقده للفقهاء من جهة اهمال إصلاح القلوب بايغالهم في الجدل والبحث في المعاملات الظاهرية[29]، غير أن اطلاعه الأكبر كان لمذاهب كبار العبّاد والزهّاد ،في مقدمتهم سيد التابعين (الحسن البصري، (110هـ)، ،إبراهيم بن أدهم (162هـ)،داود الطائي (166هـ) الفضيل بن عياض (187هـ)، شقيق البلخي (195هـ)،معروف الكرخي (200هـ)،بشر الحافي (227هـ)، ذو النون المصري (245هـ) و السري السقطي (251هـ)،خال الجنيد ......[30]

كان للمحاسبي أثر كبير على من جاء بعده خاصة حجة الاسلام أبو حاد الغزالي وبقية الصوفية الكبار من بعده ،منهم أبو طالب المكي، الحكيم الترمذي،أبو سعيد الخراز . وامتد أثره حتى القرن العشرين من خلال تأثيره على الأستاذ الفرنسي (ريني جينو René Guénon) الذي أصبح يعرف ب (عبد الواحد يحيى) بعد إسلامه. [31]

. **أسلوب المحاسبي في التأليف**: يمكن اعتبار المحاسبي من الصوفية الذين ركّزوا على نشر أفكارهم في التوجيه والتربية من خلال تأليف الكتب، تميز أسلوبه بحسن عرض الأفكار، تبويب واختصار، دون اطناب أو تفصيل ،فجاء أكثر ما دوّنه رسائل توجيهية صغيرة... وفي مجمل كتاباته يتّبع المحاسبي أسلوب الحوار ،على طريقة: سؤال ، جواب، وكأنه يعمل على توليد أفكار قارئه...تماما مثل أسلوبه التربوي المباشر مع تلميذه الجنيد - وهو حدث- ،في طريق (مشائيّته الصحراوية) .يروي الجُنيد أن الحارث كان يأتي منزلهم ويقول له أخرج معي نُصحّر (نمشي في الصحراء)......فإذا وصلا إلى المكان الذي يجلس فيه يطلب منه أن يسأله عمّا يقع له في نفسه... فيسأله الجنيد وهو يجيبه ،ولما ينصرف إلى بيته يعمل منها كتابا..[32]. يطغى الأسلوب الحواري في مؤلفاته، ففي شرحه لمعاني التوبة مثلا (وهي أول طريق السالكين) يبني كلامه ويوجه أفكاره كلها على طريقة (سؤال- جواب)،، (قال- قلت).وهو ما يغلب على كتابه (الوصايا) وفي أشهر كتبه (الرعاية). [33]..

لا ريب أن المحاسبي قد تنبّه إلى أهمية الخيال في توجيه السلوك والتربية ،ولهذا صنّف كتابه الوجيز الذي سماه (التوهّم)؛واضعا قارئه في جو من تخيّل الوضع وكأنه يعيشه حقا وصدقا ،لمزيدمن التأثير عليه ،تجده يخاطب قارئه مباشرة يقول مثلا :" فتوهّم نفسك وقد صُرعت

للموت صرعة لا تقوم منها إلا إلى الحشر إلى ربّك، فتوهّم نفسك في نزع الموت وكربه وغصصه وسكراته وغمّه وقلقه...فتوهّم جلستك في ضيق لحدك ،وقد سقطت أكفانك على حقويك والقطنة من عينيك عند قدميك...[34]...وبهذا نجد أن المحاسبي يرسم لنا لوحات فنية معبّرة ومؤثرة بل ومزلزلة عن الحساب وشعور أهل النار ،وكأننا نراها رؤي العين .[35]

أما في كتابه (آداب النفوس) فيغلب عليه أسلوب الاستمالة العاطفية ، خطاب الداعية المربي الشفيق على إخوانه ،ولذا يكثر من خطاب: "يا أخي... فاتّقه يا أخي... ثق بي يا أخي... أشكره يا أخي.... إعلم يا أخي...." وهو أسلوب يستعمل للاستمالة العاطفية، التي تعتمد عادة في الوعظ والارشاد ،لكسب عواطف المخاطبين؛ لأن القلب (كما يقول) إذا سلم، سلم سائر الجسد واستقامت الحياة وتحققت النجاة.[36]

وعموما ألاحظ أن أسلوب المحاسبي ستميّز بالمباشرة والسهولة، يبعد عن التقعيرات والتعقيدات اللفظية واعتماد المصطلحات المبهمة المعقدة ،بحكم النظرة الباطنية الاشارية الرّمزية التي تتميز بها كتابات الصوفية عموما، من أمثال محي الدين بن عربي، وحتى الحكيم الترمذي.... وهو عموما أسلوب وعظي توجيهي تربوي مباشر...

للمحاسبي مؤلفات كثيرة ،يحصي الدكتور (عبد الحليم محمود) منها -وهو من المتخصصين في الدراسات الصوفية-، ثمانية عشر كتابا، بعضها مخطوط وبعضها مطبوع [37]،أهمها:

كتاب الرعايةِ لحقوق الله.(وهو أهم كتبه)- **فهم القرآن ومعانيه** - التوبة بدء من أناب إلى الله - شرح المعرفه وبذل النصيحه - آداب النفوس – التوهُّم - كتاب ماهية العقل وحقيقة معناه - رسالة المسترشدين (مجموع مواعظ وحكم) - كتاب الوصايا، حققه وعلق عليه الباحث، عبد القادر أحمد عطا، وتضمّن كتاب النصائح، القصد والرجوع إلى الله، بدء من أناب إلى الله، فهم الصلاة ،وكتاب التوهّم.....

- **خوضُه في علم الكلام**: اهتم المحاسبي بالدفاع عن العقيدة، على طريقة المتكلمين ،وهو ما خالف فيه الاتجاه العام لعلماء أهل السنة الذين نهوا عن الخوض في أسماء الله وصفاته ومسائل القدر وغيرها،وفي مقدمتهم الامام مالك ،الامام الشافعي والامام أحمد وسفيان الثوري (رضي الله عنهم)[38] ، يمكنني أن أرجع ذلك إلى اتباع والده -كما تذكر المصادر- لمذهب

المعتزلة؛ ما دفعه للاطلاع على آراء المعتزلة تفصيلا والبحث في آرائهم ، ومكّنه من مناقشتهم والردّ عليهم فيما بعد في كتابه (فهم القرآن) ، لم يكفرالمحاسبي المعتزلة كما فعل الغزالي مع الفلاسفة، ولكنه اعتبرهم أهل بدع وضلال [39]،وهو ما يدلّ على استقلاله الفكري وسعة اطلاعه وشدة حرصه على الدفاع عن الشريعة والحقيقة ما يؤكد اعتداله وبعده عن التعصّب أو الانحياز المذهبي.

ورغم أن المحاسبي استقرّ على منهج الصوفية إلا أن اشتغاله بعلم الكلام نفّر منه الصوفية ، من ذلك ما أشار إليه مبكرًا أيضا أئمةُ التصوف من معاصري المحاسبي «قال الجنيد - رحمه الله - قال لي السرّي[40] يوماً :"إذا قمت من عندي فمن تجالس؟ " .... قلت: "المحاسبي"... فقال: "نعم، خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين...." ... ثم لما ولّيتُ سمعته يقول: "جعلك الله صاحب حديثٍ صوفيًّا ولا جعلك صوفيًّا صاحب حديث»[41]...

أما انكار الإمام أحمد عليه خوضه في علم الكلام فمعروف؛ لأنه أطنب في ذكر حجج المعتزلة ، وهوما يغوي بعض من يطلع عليها-حسب الإمام أحمد-، أو أن يطلع عليها من لا يقرأ الرد على الشبهة،،فتكون فتنة، لكن الامام الغزالي رد على الامام أحمد وقال : إن الرد على الشبه والبدع فرض ، ويكون كلام الامام أحمد صحيحا في حال لم تنتشر البدعة لكنها إذا انتشرت وعرفت كان لزاما بيانها ثم الرد عليها. [42]...رغم أن الغزالي في (المنقذ من الضلال) أبدى عدم اقتناعه بعلم الكلام[43]...

إضافة إلى مقاربة تجربته الروحية، المؤسّسة على الحيرة الفكرية والقلق النفسي في البحث عن الحقيقة، مع تجربة أبي حامد الغزالي، فإن ردّه العلمي على المعتزلة وتبديعهم في كتابه (فهم القرآن) يقاربه كثيرا بأبي حامد في رده على الفلاسفة .[44]، والظاهر تأثره به إلى حد كبير، بعد اطلاعه على كتابه الرعاية؛ حتى أن ابن تيمية يقرر أن الغزالي نقل معظم ما جاء به في المهلكات عن كتاب الرعاية للمحاسبي [45]. كما اطلع على فقه الرأي عند الاحناف ،نجده يروي عن أبي يوسف تلميذ أبي حنيفة في كتابه (الرعاية) .

رغم أن المحاسبي لا يكفر المعتزلة، ولا حتى الرافضة ،كما يبدو من خلال كتابه (العقل وفهم القرآن)،وإن اعتبرهم أهل بدع وضلال..[46]..فهو من المعتدلين المنصفين في أحكامهم،

وقد أعطى العقل حقه من الاعتبار ووضع في مكان وظيفي عال،حيث أن الله ما عُرف إلا بالعقل وما أُطيع إلا بالعلم[47]،حتى عدّه بعضهم عاقل الصوفية،[48]كما نلاحظ ذلك في نظرته للدنيا وبيانه لحقيقة الزهد فيها ،،، نجد في دفاع الغزالي-وهو من أئمة التصوّف السنّي- عن المحاسبي ضد نقد الامام (أحمد) له ،خير دليل على تأثره الكبير به في تجربته الروحية وفي منهجه السلوكي التربوي......

المحاسبي الباحث عن الحقيقة: كان جادا في البحث عن طريق الحق، فبعد أن تعرف على مذهب المعتزلة مبكرا وأنكره بشدة إلى حد الجفوة التي حدثت بينه وبين والده بسبب اعتزاليته ، مرّ المحاسبي بمعاناة الحيرة والقلق النفسي، وجد نفسه تائها بين أصحاب المذاهب واختلاف الناس فرقا ومذاهب،،كلٌ يدّعي أن في طريقه النجاة ...كما لاحظ أن الناس أصناف –كما يروي هونفسه- : عالم بأمر الآخرة، لقاؤه عسير ووجوده عزيز، وجاهل البُعد عنه غنيمة ،ومنهم متشبّه بالعلماء وهو صاحب دنيا ،ومنهم حامل علم ينسبه إلى الدين يبتغي الرفعة ،يأكل دنياه بدينه ،ومنهم من متعه الله بعقل ودهاء لكنه محروم من الورع والتقى،ومنهم شياطين الانس ،متكالبي على الدنيا معرضين عن الآخرة.....ومن هنا بدأ التأمّل في نفسه التي ضاقت به بين هاته الأصناف ،فقاده تأمله إلى أن الهوى أصل كل اختلاف ،وأن طريق النجاة هو مخالف النفس هواها والتزام التقوى والورع ودوام المحاسبة والتزام أداء الفرائض ...[49].والذي نلاحظه أن التجربة نفسها سيعيشها حجة الاسلام أبو حامد الغزالي(450-555هـ)، والتي انتهت به إلى الاقتناع باتباع الحقيقة الصوفية، التي ضمّنها كتابه (المنقذ من الضلال).

لم تنته حيرة المحاسبي بذلك، بل تاه في بحثه عن علماء التقوى والورع ،فما وجد إليهم سبيلا،لأنهم نادرون، كما يقول،فعظمت مصيبته واشتدت حيرته وخاف أن يفجأه الموت ولم يظفر بصحبتهم حتى وصل به الأمر إلى أن يقول:" فعظُم همّي وغمّي لفقد الأدلاّء ،وانطويت على نفسي "...إلى أن لحقته الألطاف الإلهية فوفقته للقاء (علماء الحقائق،المؤثرون للآخرة على الدنيا) وهم الصوفية ،ووجد فيهم صفات اهل الورع: الصدق مع الله، الرضى عنه، نصح الأمة، الزّهد، الرغبة عن البدع والأهواء،.......ولما صحبهم فتح الله عليه علما إتضح له برهانه

وأنار له فضله ورجى النجاة به- كما يقول-......ففي غمرة بحثه عن طريق الحقيقة ،عثر على ظالّته في طريق التصوُّف ، بعد أن اجتمع ببعضهم والذين يعرفهم بأنهم : " العلماء بالله وأمره والفقهاء عن الله العاملين برضوانه الورعين عن محارم المتأسين برسوله المؤثرين الآخرة على الدنيا "..لكنهم قلة غرباء علمهم مندرس لا يكاد الناس يلتفتون إليه لعزته وغرابته....... فأصبحت راغبا في مذهبهم مقتبسا من فوائدهم...محبا لطاعتهم، لا أعدل بهم أبدا ولا أؤثر عليهم أحدا... ففتح الله لي ما اتضح لي برهانه وأنار لي فضله .... ورجوت النجاة لمن اقتربه

أو انتحله وأيقنت بالغوث لمن عمل به ، ورأيت الاعوجاج لمن خالفه، ورأيت الرّين متراكما على قلب من جهله وجحده ".[50]..

معالجة أدواء النفس عند المحاسبي:

معرفة النّفس عند المحاسبي: يمكننا القول أن اتباع المحاسبي للصوفية فتح عينيه وبصيرته على جانب حقائق النّفس ،حيث أن محور اهتمامات القوم معرفة النفس وكشف أمراضها الباطنية.

لا نجد تعريفا للنفس عند المحاسبي إلا إشارات تبين أنها غير الجسد ولها حاصل جميع الصفات الخلقية والمعنوية ،مرتبطة به كقالب ،فالجسد بما فيه من اعضاء وحواس آلات النفس وأدواتها،،،تشكل معرفة النفس، أساس نظرية المعرفة عند الصوفية،حيث لا يعرف ربّه من لم يعرف نفسه، وكشف حقائق النفس الإنسانية أول طريق الفلاح وسلوك طريق السعادتين، والتحقيق الشرعي والعقلي يبيّن أن الهوى أصل كل خطيئة وفساد،وهو ما يفسد النفس ويزرع فيها ما يسميه القرآن باطن الإثم: الرياء، العُجب، الحقد، الكبر.......[51] يشير المحاسبي إلى أن أصل الأزمة التي يعانيها الإنسان إنما ترجع إلى اتباع الهوى :هوى المال، هوى السلطة، هوى الشهرة، هوى المعرفة...وهذا سبب البلاء.[52]،ولهذا نجده يشير إلى العزّ في النفس أصل مرض القلب،لأنه يجر الكبر ، الفخر،الغضب، الحقد والحسد ...وكافة المهلكات التي يجب على المؤمن السالك للطريق أن يتطهر منها،ويقصد بالعز التكبر والطغيان ،أما عز المؤمن على الكافر فهو من لوازم خلق السائرين[53]، قال تعالى:﴿... وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون/8). إن طالب الطريقة لا بد له من الاستعانة بالله على مجاهدة نفسه،

حتى يخالف كل ما عليه العامة من المباحات التي ليس في تركها عقاب ولا في فعلها ثواب...[54]،والمعروف عند عموم الصوفية ،مقابلة النفس للجسد ،فكل ما كان سببا لحياة البدن وازدهاره(تمام نموه) هو سبب في موت النفس وضعفها،والعكس صحيح،،،ومن هنا نجد أن الفخر الرازي، ،في كتابه النفس والروح، يقرر أن أصحاب الرياضات والمجاهدات كلما أمعنوا في قهر قواهم البدنية بتجويع الحس، قويت قواهم الروحانية وأشرقت أسرارهم بالمعارف الالهية.. وكلما أمعن الانسان في الأكل والشرب وقضاء الشهوات الجسدانية ،صار كالبهيمة، وبقي محروما عن آثار النطق والعقل والفهم والمعرفة."[55]...

عُرف الحارث بن أسد بلقب(المحاسبي) لشدة محاسبته لنفسه وصدّها عن الشبهات ؛ما جعله يشدد في مراقبة نفسه والعمل على التحكم فيها وتوجيهها،فعمل على توطينها على الترفع عن الشبهات ،مخافة الوقوع في المحرمات،من ذلك أنه ورث عن أبيه سبعين ألف درهم، فلم يأخذ منها شيئا، لأن أباه كان قدرياً، فتركه ورعاً، ، وقال: "صحت الرواية أنه لا يتوارث أهل ملّتين شيئاً".ومات وهو محتاج إلى درهم[56]. يروي القشيري عن شيخه (أبا علي الدقّاق) أن المحاسبي كان إذا مد يده إلي الطعام فيه شبهة تحرك في إصبعه عرق، فكان يمتنع منه.[57] ،قال الجنيد: "مرّ بي يوماً، فرأيت فيه أثر الجوع، فقلت: "يا عمّ، ندخل الدار وتتناول شيئاً"، فقال: "نعم" فدخلت الدار، وحملت إليه طعاماً، من عرس قوم؛ فأخذ لقمة وأدارها في فيه مراراً، ثم قام وألقاها في الدهليز وفرّ، فلما رأيته بعد أيام، قلت له في ذلك، فقال: "إني كنت جائعاً وأردت أن أسرُّك بأكلي وأحفظ قلبك، ولكن بيني و بين الله علامة: ألا يسوغني طعام فيه شبهة، فلم يمكنني ابتلاعه، فمن أين كان ذلك الطعام؟؟". فقلت: "أنه حمل من دار قريب لي من العرس" ثم قلت له: "تدخل اليوم" فقال: "نعم" فقدمت اليه كسرةً كانت لنا فأكل، وقال: "إذا قدمت إلى فقير شيئاً فقدم مثل هذا".[58]، أثنى عليه (أبو نعيم) وأشاد بزهده وورعه وعلوّ كعبه في العلم ،كان عالما في السلوك عالما في العقيدة عالما في الفقه ،وقد ذكره السبكي في طبقات الشافعية.[59]

على عادة الصوفية فإن المحاسبي يضع النفس موضع اتهام، فلا يثق فيها ويوصي بدوام مراقبتها ومحاسبتها ،وتعني المحاسبة،كما يقول:" قيام العقل على حراسة النفوس من خيانتها، لتتفقد

منها زيادتها من نقصانها"؛ بمعنى لومها على اتباع هواها ومعاقبتها على ذلك..ويتساءل :بأي شيء يقوى العبد على محاسبة نفسه؟.. ثم يجيب: ذلك لا يتحقق إلا بثلاثة شروط:

- قطع العلائق (حب متاع الحياة الدنيا)،- التفرّد لها عما سواها (التركيز على مراقبتها)،- خوف الله في تكليفه دوام محاسبتها... فإذا نشزت عليه فليعرضها للعقوبة ،بقطع رغائبها، مضاعفة الأوراد (الذكر والتسبيح)، زيادة اتعابها، إنقاص غذائها وإذلالها ... فلا تصح توبة ولا يستقيم حال السائر إلى الله إلا بذلك، وإلا هلكت.[60]

وهذا اتجاه عام عند الصوفية فالحكيم الترمذي[61] يتفق مع المحاسبي في وجوب ضرورة رياضة النفس، بكسرها عن رغائبها ،أي منعها منها قسرا،ومشكلة العابدين عامة أنهم يعملون الطاعات بشهوة ،حتى ربما عمل أحدهم بالتطوع وأهمل الواجب، فتراه يقوم الليل ويعق والديه... فهذا رجل عبد الله بهواه لا بقلبه، وإنما حصل ذلك لاهمال تأديب النفس ورياضتها...[62]، وهنا نجد الفخر الرازي يقسم النفوس إلى ثلاث: - عالية: تسمو إلى الأعلى (العالم الروحي)، عالم الأنوار والمعارف، وهي نفس السابقين المقربين.- وسطى: ترتقي الى الأعلى تارة وإلى الأسفل (العالم المادي) تارة أخرى،وهي نفس أصحاب اليمين . وسفلى: تستغرق في عالم الترابي المادي، الشهواني ،نفس أصحاب الشمال من الظالمين.[63]

شكّلت(المحاسبة)،كقيمة عند الحارث، منهجا أخلاقيا سلوكيا تربويا شاملا ،حيث ربطها بشروط عملية عشرة، يقول:" لأهل المحاسبة عشر خصال :الأولى : أن لا يحلف بالله لا صدقا ولا كذبا،لا سهوا ولا عمدا. الثانية: الاحتراز عن الكذب. الثالثة: ترك خلاف الوعد... الرابعة: ترك اللعن وإن كان على ظالم. الخامسة:ترك الدعاء على أحد أساء إليك قولا أو فعلا،ولا تريد مجازاته ،بل تحمل عنه لله تعالى. السادسة: ترك الشهادة على الناس بكفر أو بشرك أو بنفاق؛فإنه من الرحمة والشفقة عليهم،... السابعة: ترك قصد المعصية ،ظاهرا وباطنا. الثامنة: رفع تعبك وتشويشك عن الخلق قليلا أو كثيرا. التاسعة: قطع الطمع عن الخلق واليأس عن الجميع (لا تكلفهم ولا تطلب منهم مساعدة)، العاشرة :أن لا ترى لنفسك فضلا على أحد ولا تعتقد أنك خير من أحد ؛إذ العاقبة غير معلومة. [64]". نشير هنا أن زهد المحاسبي كان على طريق الاعتدال بعيدا عن التطرف المشهور عن بعض أعلام التصوف،إذ أن الزهد في الدنيا زهد

القلب والترفع عن مغرياتها ،بمعنى أن حقيقة الزهد لا تعني أن لا تملك الدنيا، وإنما أن لا تملكك الدنيا ،بل نجده ينتقد بعض المتطرفين من الصوفية من الذين حرموا الأخذ من الدنيا إلا ما يسدّ الرمق[65]..

وقع تركيز الصوفية ،وعلى رأسهم (المحاسبي)، على سبر أغوار النفس الإنسانية واستنطاق أحوالها ،رجاء التحكم فيها وتوجيهها إلى طريق الهداية التي حددها خالقها،وتطويعها للسلوك القيّم وفق اعتبارات وهدي الشريعة.ومما قاله في المجاهدة:" من هذّب نفسه بالرياضة حَري أن يهديه الله تعالى إلى المقامات".[66]

لا ريب أن المنطلق هو أن معرفة النفس من شأنه إنارة السبيل لإصلاحها ،ومن صلحت نفسه صلح حاله، وكانت دراسات المحاسبي ضمن هذا الاطار العام حتى لقيت اهتماما من المستشرقين، حتى قال فيه المستشرق الألماني (نولدكه) (Theodor Noldeke) [67] أنّه إمام التحليل النفسي بين علماء الاسلام.[68] .وقال فيه المستشرق الفرنسي (لويس ماسينيون) (Louis Massignon)[69].:" لقد سما بالتحليل النفسي إلى مرتبة لا نجد لها مثيلا في الآداب العالمية إلا نادرا"..[70].ولعل في هذا سر اهتمام المستشرقين به ،فكتاب (بدء من أناب إلى الله) نشره المستشرق H. Ritterعام1935م ،وكتاب (التوهم) و(الرعاية) نشرته المستشرقة

(Margaret Smith) عام 1940م ، بلندن . وإشراف المستشرق الفرنسي (لويس ماسنيون) على رسالة عبد الحليم محمود حول المحاسبي.......[71].

يهدف سالك الطريق الصوفي إلى تحقيق الوصول إلى الله ،وهوطريق صعب محفوف بالمكاره والعوائق،ولاشك أن أكبر عائق، بالنسبة للصوفية عامة، عائق النفس الأمّارة بالسوء ؛ وتتمرد النّفس على صاحبها لتقف به عن التحليق الروحي والارتقاء الرباني،،،ولتحقيق التمثل بالتقوى والتزام العمل الصالح يلزم الصوفي التصدي لرغائب النفس ومكائدها بمجاهدتها في كل وقت ،وهو أهم سبيل لتحقيق الترقي .وهذا يقتضي أولا معرفتها ظاهرا وباطنا ،لأن مقتضى الانتصار في أي معركة مع العدو التعرّف عليه وكشف خططه غير المعلنة،،،،،ثم العمل على مواجهته برسم الخطط المحكمة للانتصار عليه ....

محور اهتمام الحارث بن أسد المحاسبي تربية النفس ومعالجة أدوائها ، حيث حاول تشريح النفس الانسانية وكشف أسباب أمراضها التي تؤدي إلى إهلاكها...

محاسبة النفس: عرف عن المحاسبي -كما سبق- شدة تدقيقه وتحريه طريق الحق: مثل تجربة الحيرة والقلق التي انتابت الغزالي بعده والتي يرويها في المنقذ، شعر المحاسبي بالحيرة النفسية تجاه تعدد المذاهب والفرق في عصره.[72]

أيقن أن أعظم مفسد للأمة حب الدنيا وتعظيمها على حساب الآخرة،ولهذا يحمل بشدة على أحباب الدنيا وعبيدها من البشر ، فيخاطبهم : "يا عبيد الدنيا ،،ويحك أيها المغرور.... !!".... نجده يكرر هذا النداء مرات كثيرة في كتابه الوصايا ...[73]، وهو أسلوب يظهر جليا في الخطاب الصوفي كنوع من التقريع الذي قد يعلن بعض مشايخهم أنه يأتي على لسانهم قهرا؛ أي لا يتحكمون فيه مثلما نجد عند الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه (الفتح الرباني والفيض الرحماني)[74].وهو رأي يضع النفس موضع التهمة، ما يوجب التحذير الشديد منها ومن خدعها الظاهرة والخفية،وعليه ألح بعض الصوفية على أن اذلالها مطلب ضروري لسالك الطريق ؛لأن كل من تعزه يعزك ومن تذله يذلك إلا النفس والفلس[75]......

ومكر النفس لا يسلم منه حتى العابدون الزاهدون،ويقع لهم ذلك من خلال حب المدح وكره الذم،فيكره مجالسة الذام ويحب مجالسة المادح،فيلقى الأول بطلاقة والثاني بعبوس،حيث يرى المحاسبي أن العاقل لا ينبغي له الركون إلى ذلك حيث يدرك أن الذام أنفع له؛ لأنه يبصره بعيوب نفسه ،أما المدح فقد يكون له فتنة أو استدراجا . فيهلكه... وكشف أحابيل النفس أمر لازم لإصلاحها ومخالفتها هواها أصل فلاح الدنيا والآخرة .[76]

على عادة الصوفية في إيراد حكمهم ومواعظهم، يعمد المحاسبي إلى توجيه التربوي على شكل حكم مختصرة ذات معاني عميقة ،لتكون ابلغ في التأثير على ذهن السامع، تماما مثل حكم ابن عطاء الله السكندري المشهورة عند الصوفية، كجوابه لما سؤل عن حقيقة محاسبة النفس قال:"قيام العقل على حراسة النفس من خيانتها ،لتفقد منها زياداتها من نقصانها"[77].وهو ما يظهر قيمة العقل عند المحاسبي في حفظ النفس من الزيغ والانحراف.

حقيقة الزّهد عند المحاسبي: لا يعني الزهد عند المحاسبي ترك الدنيا وتجنب التمتع بمباحاتها، وإن رغّب في التقلل منها، مع الحرص على رياضتها للتحكم فيها؛ حيث حقيقة الزهد أن تملك الدنيا ولا تملكك الدنيا ، أن تضعها في يدك لا في قلبك،،،،،وعلى هذا الأساس ينتقد بشدة موقف كثير من الصوفية من الدنيا وزينتها، ويعتبر هؤلاء الذين ذموا الدنيا جملة ودعوا إلى تركها وإضاعة العيال وحق الوالدين والخروج للسفر دون زاد وعدم التداوي عند المرض ،بزعم التوكّل ، ظالُّون، مظلّون ؛ لخلافهم السنة ، يوقعون أنفسهم في الهلاك المبين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا،،،فالقسطاس المستقيم في معاملة الدنيا وكسب المال هو الكتاب والسنة..[78]،مع التأكيد على لزوم محاسبة النّفس حتى لا تمادى في شهواتها ما يؤهلها أن تمرّد ما يوقعها في الحرام فتهلك..

وحتى العبادة -وهي أساس الهدف الوجودي للانسان- لا ينبغي أن تشغل صاحبها عن طلب القوت للعيال والوالدين ،فلا يجوز للصوفي أن يترك العمل الحلال ،فيضيع من يعول، كما لا يجوز التشدد في العبادة وانهاك قوى الجسد فيها،ولا يفعل ذلك إلا متنطع،جاهل، كما يقول.[79]

تحليل النّفس عند المحاسبي: يتبيّن لنا ذلك من خلال ما جاء في كتابه (الرعاية) من كشف الأدواء النفسية وتحليلها وعلاج أمراضها الباطنية،ومنهج كتابه يقوم على تخيل حوار بين شخصين مسترشد وطبيب مرشد،خبير بتلك الأمراض (تشبه كثيرا جلسات العلاج النفسية الحديثة)، علما أنه كان كثيرا ما يصطحب معه (الجنيد) وهو غلام ؛ يطلب منه السؤال عن كل ما يبدر في نفسه ويجيب عنه ،وهما سائران في البرية ،..ثم يعود الى بيته ويدوّنها .... نفس الطريقة تقريبا التي اتبعها فريد الدين العطار[80] في كتابه "إلهي نامة"،وهو يُسائل أولاده حول حقائق الوجود [81]. وجلال الدين الرومي[82] في كتابه:" كتاب فيه ما فيه" وذلك في حوارات صوفية عميقة.[83]....

تقوم طريقة المحاسبي في التربية على تأمُّل ودراسة وإدراك حقيقة النّفس الأمّارة بالسوء ومعرفة خداعها ومكرها وأنها لا تريد من صاحبها إلا الشهوات والمتع الدنيوية والتي تدفع بصاحبها إلى الهلاك والنفس الماكرة تتوقف مع الظواهر والعلائق الدنيوية، ولا تتعمق روح

الشياء ولا تتعقل عواقب الأمور ،وبذلك تهلك وتُهلك...وحلّ مشكلة النفس هذه هو دوام مراقبتها و محاسبتها ومخالفتها ومجاهدتها ثم عقابها بقطعها عن علائقها (ما تعلقت بها من أهواء) مضاعفة الوراد،زيادة كدّها(تعبها) وإنقاص غذائها وإذلالها.[84]،وهو مقتضى الرياضة عند الصوفية.

يعتبر المحاسبي من العلماء الذين استعملوا أسلوب التخيّل والاستبطان النفسي، في التربية والتوجيه الخلقي الديني، وبذلك يستقيم الانسان بالالتزام الباطني الذاتي، وله كتاب جيد وهو كتاب التوهّم (التخيُّل) ،يضع العقل في جو من الخيال الذي يعيشه الانسان كحقيقة ماثلة، فتراه يضع القارئ في جو الموت الرهيب،يقول : " فتوهّم نفسك وقد صرعت للموت صرعة لا تقوم منها إلى الحشر إلى ربّك ،فتوهّم نفسك في نزع الموت وكربه وغصصه وسكراته وغمّه وقلقه .... فتوهّم جلستك في ضيق لحدك ،وقد سقطت أكفانك على حقويك والقطنة من عينيك عند قدميك ...... ".[85]

كما يعتني بإعطاء الأمثلة لقارئه ،فيشير إلى كيفية فهم ومعالجة أحد أخطر الأخلاق وأشدها على المرء، وهوما يصنفه ضمن الأمراض النفسية المهلكة ،في الدنيا والآخرة، وهو مرض **الكبر** ، حيث يبدأ أولا بتعريف الكبر ، فيرى أنه **التعظُّم على الخلق والخالق**...يشرح ذلك فيقول :"فمن تعظّم وأنف أن يقبل عن الله عز وجل أمره وأن يذل ويخضع له، فقد تكبر .. ومن رأى نفسه خيرا من أحد احتقارا أو رد الحق فقد تكبر..". وقد توعد الله المتكبّرين، فقال: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر/72)" .. ، والكبر من أخطر أمراض النفوس،وهو يتشعب من أمراض أخرى: العُجب، الحقد ، الحسد والرياء...[86].

والكبر أنواع ،من أخطر أنواع التكبّر، التكبّر بالعلم ،وعلامته عند المحاسبي أنه:" إذا تكبر العالم بعلمه حقر من دونه في العلم وازدراه وأقصاه وامتن عليه بما يعلمه وتعظم على العوام وانقبض عنهم ليبدؤوه بالسلام،و يغضب عليهم إذا استخف بشيء من حقه أو لم تُقض حوائجه كبرا ... ".والعالم المتكبر بهذه الصفات لا يثمر علمه؛ لأنه منطلق من مرض النفس ودنس الروح،بما لا ينتفع به المجتمع،... وبذلك يكون علمه حجة عليه يوم القيامة، وقد يدخل في زمرة

الذين ظل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا....[87] ،كيف يمكن معالج هذا الداء..؟... يقوم **علاج الكبر** عند المحاسبي على نوعين من العلاج: علاج معرفي وعلاج عملي...

المعرفي: أن يعرف يقينا أنه كان قبل لا شيء مذكورا،وأنه بدأ أجهل منهم،بل قد ثبت أنه أخرجه من مخرج البول مرتين، وليتفكر في مصيره غير الضامن له، فلا يدري أهو من أهل الجنان أم من أهل السعير ، والفضل فيما يعلمه كل الفضل لمن وهبه نعمة العقل والادراك ونعمة الحواس التي يميز به الاشياء....[88]

العملي: العلاج المعرفي مهم جدا، لكنه غير كاف دون إجراء عملي وتطبيق سلوكي، فالكثير من العلماء يعرفون عن الكبر ويحذرون منه، لكنهم متلبسين به :ولهذا وجب اتخاذ مواقف سلوكية لمعالجة هذه الآفة الخطيرة منها: إرغام النفس على السكوت وعدم الرد والانتصار للنفس إلا بمقدار حتى لا تجره شهوة الاستعلاء والتكبر بالحجة،والقاعدة مخالفة النفس، إن رغبت نفسك في الكلام والرد فاسكت وإن رغبت في الصمت فتكلم....ومن المجاهدة أيضا :أن يتعمد القيام ببعض الاعمال المباحة التي تأنفها عزة النفس عادة : كأن يحمل شيئا من متاعه على ظهره أمام الناس وهو ما تبغضه النفس لكن لا مندوحة من ذلك تربية لها ومجاهدة لآفاتها....[89]وبهذا يتميز المؤمن عند الصوفية بمغالبة نفسه وحملها على ما تكرهه، تربية لها وتأديبا......وهي طريقته مع بقية الأمراض المهلكة الأخرى...

مما ذكره أبو نعيم في الحلية أن الحارث سُئل: بم تحاسب النفس؟ قال: بقيام العقل على حراسة جناية النفس فيتفقد زيادتها من نقصانها، فقيل له:ومم تولد المحاسبة؟ قال: من مخاوف النقص، وشين البخس، والرغبة في زيادة الأرباح، والمحاسبة تورث الزيادة في البصيرة، والكيس في الفطنة، والسرعة إلى إثبات الحجة، واتساع المعرفة،وكل ذلك على قدر لزوم القلب للتفتيش، فقيل له: من أين تخلف العقول والقلوب عن محاسبة النفوس؟قال: من طريق غلبة الهوى والشهوة، لأن الهوى والشهوة يغلبان العقل والعلم والبيان»[90]......من هنا يضع المحاسبي فكرته عن النفس بتحليل أدوائها واقتراح علاجها لتهذيبها الأخلاقي لتستقيم على صراط الحق وتسمو في معارج العدل،ما يحقق سعادتها في الدارين....

خاتمة:

مهما حاول الانسان في هذا العصر أن يسمو بنفسه في عالم التطور والتفوق المادي ،لن ينجح في تحقيق استقراره وسعادته والتمتّع بما لديه،إلا إذا أعاد النظر في مساره ومنطلقه...بمعرفة غائية وجوده .

إن النظرة المادية للنفس الانسانية، التي ينطلق منها إنسان الحضارة الحديثة ، تحيد به عن معنى الوجود وتلقي به في أتون العبثية والضياع، ولذا لزم عليه استحضار بعد أساسي آخر،وهو البعد الروحي الذي يحيي فيه الفطرة، إن البحث في التراث الاسلامي يكشف لنا دراسات جيدة في معرفة النفس وعلاجها..وخاصة في دراسات علماء التصوف الاسلامي السني.

يُعتبر الحارث بن اسد المحاسبي من أوائل الباحثين الصوفية ،من الذين وقع الاجماع على عدالتهم (فهما وسلوكا) من المهتمين بتحليل النفس الانسانية وسبر اغوارها ، معرفة وكشفا ، وكان ايمانه وورعه ،كفيل بهدايته لطريق المعرفة التي أهلته لتدوين ما يراه طريقا لسعادة الانسان، من خلال كشف أدواء النفس وتقديم العلاج المناسب لها طلبا للارتقاء بها في معارج السمو الروحي والخلقي..عن طريق مجاهدة النفس وحملها على فضائل الخلاق وتطويعها على الطاعات وتذكيرها الدائم بحقيقة وجودها ومآل أعمالها وقصر زمانها، على عادة الصوفية في تربية تلاميذهم على قهر النفس الأمارة بالمخالفات الراغبة في الشهوات،والتي توقع صاحبها في متاهات الحيرة والقلق والتعاسة ... لابد للباحثين دراسة مثل هذا التراث من أجل إيجاد طريق لإنقاذ الانسانية التي تعاني أصناف القلق والعنف العبثية..

الهوامش:

[1] - ناجي حسين جودة، المعرفة الصوفية(دراسة فلسفية في مشكلات المعرفة)،ط1،عمان: دار عمار،1992م،، ص13.

[2] - أنظر : ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، ، ترجمة شفيق أسعد فريد ، ط3 بيروت : مكتبة المعارف، 1980،ص 41. و آلبرت شفيتسر ، فلسفة الحضارة ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ط3 ، بيروت : دار الأندلس 1983م، ص34 ،35.

[3] - سيغموند فرويد (1856-1939م) ، . طبيب نفساني نمساوي ، اختص بدراسة الطب العصبي مؤسس علم التحليل النفسي .وهو طبيب الأعصاب النمساوي الذي أسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس الحديث.تركزرؤيته للنفس الانسانية على دوافع ونزعات جنسية،تقف خلف كل ما يصدر عنها من سلوكات...

[4] - جون برودوس ،واطسون (John Broadus Watson) ،ولد في يناير 1878 ـ وتوفي في سبتمبر 1958، عالم نفس أمريكي أسس المدرسة النفسية المعروفة باسم السلوكية(Behaviorism) ، أحدث واطسون تغييرًا في علم النفس خلال خطبته التي حملت عنوان، علم النفس كما يراه السلوكيون..

[5] - مالك البدري، أزمة علماء النفس المسلمين ،ترجمة منى كنتباي أبو قرجة، ط1، عمان: ديوبونو للطباعة والنشر والتوزيع، 2010، ص 63،77

[6] - ألكسيس كاريل، المرجع السابق،ص41 .

[7] - نبيل محمد توفيق السّمالوطي، الاسلام وقضايا علم النفس الحديث،السعودية :دار الشروق، ط1، 1400ه/1980م، ص25..27

[8] - علي بن عبد الرحمن بن محمد العمراني،(المعروف بالجمل)، نصيحة المريد في طريق أهل السلوك والتجريد ، تحقيق عاصم ابراهيم الكيالي،بيروت: دار الكتّاب العلمي،ط1426،1ه/2005م ، ص320.

[9] - اختلف فيها الباحثون في سبب تسميتهم بالصوفية ، ،منهم من أرجعها إلى لبس الصوف،أو نسبة إلى أهل الصفُّة من الصحابة،أو من الصّفاء الروحي.... في هذا الإطار يمكن مراجعة القشيري ،الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمد بن الشريف، القاهرة: مطابع مؤسسة دار الشعب،1409ه/1987م ، ص، 464.

[10] - علي بن عبد الرحمن بن محمد العمراني ،نصيحة المريد في طريق أهل السلوك والتجريد ، م،س، ص 301

[11] - عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم، القشيري ،من مشاهير الصوفية، ولد بقرية تدعى "إستو" من قرى "نيسابور" سنة 346 ه ، تتلمذ على الصّوفي المشهور أبا علي الدقّاق ، اشتهر برسالته في التصوف والتي حملت اسمه ،له مؤلفات أخرى منها: لطائف الاشارات في التفسير، رسالة ترتيب السلوك.. توفي عام 465ه.

[12] - القشيري ، الرسالة،مرجع سابق، ص174.

[13] - نفس المرجع، ص281.

[14] – ناجي حسين جودة، المعرفة الصوفية، مرجع سابق، ص22.

[15] - نفس المرجع، ص146 .. 148.

[16] -- محمد أحمد عطا ،من تقديمه لكتاب الوصايا ، الحارث بن أسد المحاسبي، يشمل كتاب النصائح،القصد والرجوع إلى الله، بدء من أناب إلى الله، فهم الصلاة، التوهّم، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية،،140ه/1986م، ، ص35.

[17] - عبد الحليم محمود،أستاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبي، القاهرة: دار المعارف، ص 47.

[18] - عبد القادر أحمد عطا،من تقديمه لكتاب المحاسبي ، آداب النفوس، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا،ط2، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية،1411ه/1991م، ص 10.

[19] - تذكر ذلك كثير من المصادر، منها : الرسالة للقشيري ، التعرُّف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي، طبقات الصوفية للسلّمي، تذكرة الأولياء للعطّار......

[20] - المحاسبي، الوصايا، مرجع سابق، ص66

[21] - المحاسبي، معاتبة النفس، مرجع سابق، ص،ص، 11، 13، في هذا الصدد أنظر أيضا: حسين القوتلي ، مقدمة كتاب، العقل وفهم القرآن للحارث بن أسد المحاسبي ،تحقيق حسين القوتلي، ط 1،القاهرة: دار الفكر، 1971/1393،ص 21...24

[22] - القشيري، الرسالة، الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمد بن الشريف، القاهرة: مطابع مؤسسة دار الشعب1409 ه. ه/1987م ، ، ص57.

[23] فريد الدين العطار:، هو أبو حميد بن أبي بكر ابراهيم (ت1146 .)، شاعر فارسي متصوف مميز، عاش في القرن الثاني عشر الميلادي. من أشهر أعماله : منطق الطير .تذكرة الأولياء ،الهى نامه ، ديوان عطار ، مصيبت نامه .....

[24] - فريد الدين العطار نيسابوري، تذكرة الأولياء، ترجمة محمد الأصيلي الوسطاني الشافعي، تحقيق محمد أديب الجادر، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، 2009م، ص 290

[25] - أبو عبد الرحمن، محمد بن الحسين السلمي،طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة،ط3، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1986م، ص56.

[26] - المحاسبي، الرعاية لحقوق الله،تحقيق عبد القادرأحمد عطا، ط 4، بيروت: دار الكتب العلمية، ص5 ،6.

[27] - المحاسبي، بدء من أناب إلى الله،تحقيق مجدي فتحي السيد، ط1 ،القاهرة : دار السلام، ،1412/1991م، ص 9، 10

[28] - نفس المرجع ، ، ص 13 ...17.

[29] - حسين القوتلي ، من مقدمة كتاب، العقل وفهم القرآن للحارث بن أسد المحاسبي ،تقديم وتحقيق حسين القوتلي،ط1،القاهرة:دار الفكر،1319ه/1971م، ص 32

[30] - نفسه، ص 25.

[31] - فيلسوف فرنسي،ولد بباريس يوم 15 نوفمبر1886م،كان اسمه (رينيه جينو) قبل اسلاميه،درس الفلسفة بالجامعة واهتم بدراسة اللاهوت ،في عام 1909م **عُيّن أسقفا** ،،،ثم قادته دراساته الروحية المستفيضة الى اعتناق الاسلام عام 1912م فسمى نفسه (عبد الواحد يحيى)، نشر = عام 1927م كتابه :ملك العالم، ثم كتاب أزمة العالم الحديث،،،،انتقل إلى مصر وسكن القاهرة عام 1930،،،وبقي بها حتى وفاته عام 1951م، التقى به شيخ الازهر عبد الحليم محمود ووصفه بأنه حجة الاديان عامة وحجة الاسلام خاصة......

[32] أبو نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج10، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1409ه/1988م ،ص74.
أنظر أيضا:عبد الحليم محمود ، أستاذ السائرين، الحارث بن أسد المحاسبي ، مرجع سابق، ص10

[33] - المحاسبي، الوصايا، مرجع سابق، من ص 222 ....228. و كتاب الرعاية لحقوق الله،مرجع سابق، ص، ص39....41.

[34] - نفسه، ص390،389 .

[35] - المحاسبي، آداب النفوس،دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا،ط2،بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ،1411ه/1991، ص 152

[36] - نفس المرجع ،ص 31.....37.

[37] - عبد الحليم محمود،أستاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبي، مرجع سابق، ص19....23 .

[38] - أنظر، أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، مع أبحاث مستفيضة عن قضية التصوف لعبد الحليم محمود،ط1، القاهرة:مكتبة الانجلو المصرية، 1962، ص132....137.

[39] – حسين القوتلي ، من مقدمة كتاب، العقل وفهم القرآن للحارث بن أسد المحاسبي ،مرجع سابق، ص 399.

[40] - هو السري بن مغلّس السقطي، خال الجنيد وأستاذه في الطريق، من أوائل رجال التصوف السني.إمام البغداديين أول من تكلم في لسان التوحيد وحقائق الأحوال ، أنظر:عزيز السيد جاسم،متصوفة بغداد،ط1997،2، بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص 119.

[41] - أبو طالب المكي، قوت القلوب، تحقيق محمود إبراهيم محمد الرضواني، الجزء 1،ط1،القاهرة: مكتبة دار التراث،1422ه/2001م، ص437

[42] - أبو حامد ،الغزالي، المنقذ من الضلال، مرجع سابق ، ص 163 ،164.

[43] - المرجع السابق، ص 136 ،137 .

[44] - نفس المرجع ،ص 140.

[45] - مجدي فتحي السيد ، من تقديم، كتاب بدء من أناب إلى الله، مرجع سابق، ص12.

[46] - الحارث بن اسد المحاسبي ، العقل وفهم القرآن،قدم له وحقق نصوصه، حسين القوتلي، مرجع سابق، ص 19.

[47] - الحارث بن أسد المحاسبي، الوصايا،م،س، ص 86.

[48] - حسين القوتلي ، من مقدمة كتاب العقل وفهم القرآن،مرجع سابق، ص 34، 35.

[49] - الحارث بن اسد المحاسبي ،الوصايا، ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية،،1406ه/1986م ، ص61

[50] - المرجع السابق، ص20،،،أنظر أيضا :كتاب عبد الحليم محمود،أستاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبي، القاهرة: دار المعارف، ص13...16.

[51] - نفس المرجع، ص 35.

[52] - نفسه، ص 60، 61.

[53] - المحاسبي ، آداب النفوس، مرجع سابق، ص 82.

[54] - علي بن عبد الرحمان بن محمد العمراني،نصيحة المريد، مرجع سابق، ص312.

[55] - الفخر الرازي، النفس والروح وشرح قواهما، تحقيق محمد صغير حسن المعصومي، اسلام اباد، باكستان: مطبوعات معهد الأبحاث الاسلامية، د،ت، ص42

[56] - الحارث بن أسد المحاسبي، المرجع السابق، ص21، 24.

أنظر أيضا ،فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء، مرجع سابق ، ص290 ،291

[57] - القشيري ، الرسالة القشيرية،م،س، ص58،،لا يمكن التعليق على مثل هذه الظاهرة التي تشيع في التراث الصوفي عموما،والتي يمكن اعتبارها من كرامات أئمة الصوفية، لكن ربما تجد سندها في رواية الجنيد...

[58] - أبو نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج10، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1409ه/1988م، ص75.

أيضا،فريد الدين العطار العطار،المرجع السابق ص 291، 292.والرسالة القشيرية، مرجع سابق، ص58.

[59] - المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، م، س، ص5، 6.

[60] - نفس المرجع، ص،ص، 229، 231 ، 336 ،338،...340.

[61] - هوأبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين الترمذي الملقب بـ الحكيم الترمذي،نسبة إلى مدينة (ترمذ) بخراسان، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الرابع الهجري، من كبار صوفية خراسان، توفي سنة 320 هـ.له مؤلفات كثيرة في الحكمة والسلوك ، منها: ختم الأولياء، تذكرة الأولياء،الرياضة وأدب النفس......

[62] - الحكيم الترمذي، أدب النّفس، تحقيق أحمد عبد الرحيم السائح،القاهرة : الدار المصرية اللبنانية،ط1،1413ه/1993م، ص، ص 34 ، 76 ،77.

[63] - الفخر الرازي، المرجع السابق، ص26.

[64] - فريد الدين العطار، تذكرة الأولياء ،مرجع سابق، ص292

[65] - المحاسبي، الوصايا،مرجع سابق، ص36، ومعاتبة النفس، ص40.

[66] - المحاسبي ، الوصايا، ، ص293.

[67] - نولدكه، ثيودور نولدكه ، (Theodor Noldeke) : من أشهر المستشرقين الألمان، ولد عام 1836 في هامبورغ، أتقن العربية، العبرية، والسريانية، درس في غوتنغن وفيينا وبرلين وليدن .حصل على الدكتوراه عام 1856م وهو في سن العشرين عن تاريخ القرآن.توفي عام 1930م.

[68] - المحاسبي ، الوصايا،م، س، ص 42

[69] - لويس ماسينيون (Louis Massignon) (1883 م- 1962) ،من أكبر مستشرقي فرنسا وأشهرهم، شغل عدة مناصب مهمة كمستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقيا، وكذلك الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر.عرف بكتاباته عن الحلاج....

[70] - المحاسبي، كتاب العلم، حقق وقدم له محمد العابد مزالي، تونس: الدار التونسية للنشر، 1975م،ص 13.

[71] - نفس المرجع، ص18،17.

[72] - المرجع السابق، ص30 ،31.

[73] - المحاسبي، الوصايا،مرجع سابق، ص،ص75 ،89 ،90، 182.

[74] - عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني والفيض الرحماني، ط1، كولونيا ألمانيا: منشورات الجمل، 2007م، ص53...

[75] - العمراني، نصيحة المريد،مرجع،سابق، ص336

[76] - المحاسبي، الوصايا، مرجع سابق، ص ص189....192 ،209 .

[77] - نفس المرجع، ص 229.

[78] - المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، مرجع سابق ،ص97....101.

[79] - نفسه، ص، ص 108، 113 ،114.

[80] - فريد الدين العطار ، من أشهر صوفية نيسابور، اشتغل أول أمره بالعطارة، ثم تركها اشتغالا بالذكر والتأمل الصوفي،ولد عام 545ه (وفي رواية عام 550ه) ، بنيسابور ووتوفي بها عام 627ه،،أشهر شيوخه أبو سعيد بن أبي الخير،،،ألف كتبا عديدة في التصوف ،أشهرها : تذكرة الأولياء، منطق الطير، إلهي نامه، مصيبت نامه،....

[81] - انظر كتاب الدكتورة ملكة علي التركي:مدخل الى الادب الصوفي الفارسي،مع دراسة للمنظومة الصوفية،كتاب إلهي نامه،للشاعر فريد الدين العطار،كلية الآداب، جامعة عين شمس،1418ه 1998م،ص 104.

[82] - جلال الدين الرومي ، من كبار الصوفية، ولديوم6 ربيع الأول عام604 ه، م ل1207م، ببلخ إحدى مدن خراسان، ،،،التقى عام642 بالشيخ شمس الدين التبريزي وتتلمذ على يديه واعتبر لقاءهما نقطة تحول كبرى في حياته الروحية،،،ترك كتبا كثيرة في التصوف منها كتاب المثنوي ،ديوان شعي ضخم، كتاب رباعيات جلال الدين الرومي (شعر صوفي) ،كتاب الرسائل......توفي عام 672ه(1273م) بقونية (تركيا)..

[83] - انظر جلال الدين الرومي، **كتاب فيه ما فيه**، ، أحاديث مولانا جلال الدين الرومي، ترجمه عن الفارسية، عيسى علي الكاعوب، بيروت: دار الفكر المعاصر،دمشق :دار الفكر، د،ت.

[84] - نفس المرجع ، ص،ص 231، 239، 336...340.

[85] -نفس المرجع، ص 389، 390.

[86] - المحاسبي، الرعاية لحقوق الله،تحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط 4، بيروت: دار الكتب العلمية، ص 373.....383

[87] - نفسه، ص 384....389

[88] - نفسه ، ص 359

[89] - المحاسبي، المرجع السابق، ص411 ،412.

[90] - أبو نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج10، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1409ه/1988م" ص88 .